اللاجئون الفلسطينيون في أوروبا

يزداد أبناء الشعب الفلسطيني في اللجوء والشتات عددا ويزداد الحديث عنهم وعن دورهم خاصة في ظل ما يحاك لإسقاط حق العودة الذي يمس ويهم كل فلسطيني أينما وجد. هذا الدور شبه مغيب لأسباب سأحاول هنا حصرها وإقتراح حلول لها مع برنامج عمل مقترح، وذلك لتفعيل دور الجاليات في الشتات عموما وفي أوروبا خصوصا ليستمر التواصل مع وطننا الأم حتى تحقيق الحلم بالتحرير والعودة.

لمحة تاريخية

خاض الشعب الفلسطيني خلال القرن الماضي صراعا مريرا ومتصلا في ظل إنحياز عالمي كامل ضده وتآمر إقليمي ودولي أسفر عن ضياع فلسطين على مرحلتين وتشريد مئات الآلاف من أبناء فلسطين وتهجيرهم من وطنهم الأصلي ليتوزعوا على مناطق اللجوء والمهجر وليبدأوا رحلة عذاب جديدة لإثبات الذات وبناء مجتمعات الشتات والتواصل مع الوطن السليب وإبقاء حلم التحرير والعودة حيا يورثه الآباء لأبنائهم.

لم تكن الدول الأوروبية ملاذا أساسيا لموجات الهجرة القسرية الأولى عام ١٩٤٨ التي أجبرت الفلسطينيين على مغادرة الوطن كما هو الحال بالنسبة للدول العربية المجاورة لفلسطين، باستثناء بريطانيا التي هاجر إليها البعض عام ١٩٤٨ لينشأوا نواة لمجتمع جديد.

تغير هذا الوضع بعد هزيمة عام ١٩٦٧ والممارسات القمعية للإحتلال والتي حولت أبناء فلسطين إلى لاجئين داخل وطنهم وكذلك الضغوطات والإجراءات التشديدية من قبل الدول المضيفة للاجئين وإمتداد المواجهات المسلحة لما عرف بدول المواجهة والتي أدت جميعها لموجة نزوح جديدة وهجرة نحو المنافي البعيدة والتي كان للدول الأوروبية منها نصيب.

شكّل الطلبة الجزء الأساسي من موجات الهجرة الجديدة خاصة إلى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا مما يفسر إرتفاع نسبة المتعلمين من الفلسطينيين في بعض هذه المجتمعات.

بعد ذلك وصل الآلاف خاصة من مخيمات لبنان بعد إجتياح عام ١٩٨٢ إلى الدنمارك وهولندا والنرويج والسويد وألمانيا.

الموجة التالية كانت بعد إندلا ع الإنتفاضة الأولى خاصة بعد قرار الحكومة الألمانية قبول طلبات اللجوء من أبناء الضفة والقطاع مما يفسر إرتفاع عدد أبناء قطاع غزة خاصة في مدينة برلين.

آخر موجات الهجرة الجماعية كانت عقب حرب الخليج الثانية حيث إلتحق العديد من سكان الخليج من الفلسطينيين الميسورين نسبيا بأبنائهم المتواجدين في الشتات خاصة بريطانيا وفرنسا، إضافة لأميركا الشمالية.

توزيع الجاليات وخصائصها:

حصر أعداد الفلسطينيين في أوروبا مسألة شاقة ومعقدة لعدة أسباب أهمها غياب أي حصر رسمي لهم خاصة في ظل القوانين المحلية التي لا تعترف بهم في كثير من الأحيان كجنسية أو فئة أو أقلية منفصلة بل تضعهم ضمن تقسيمات مثل (من الشرق الأوسط- آخرين) أو تردهم للدول التي قدموا منها كتصنيف حملة الوثائق حسب البلدان التي أصدرت تلك الوثائق أو إعتبارهم دون وطن - (Stateless).

يقدر العدد بشكل عام بحوالي ٢٠٠٠٠٠ حسب المجلس الأوروبي موزعين كالتالي ألمانيا ٨٠٠٠٠ - الدنمارك ٢٠٠٠٠ - بريطانيا ١٥٠٠٠ - السويد ٩٠٠٠ وفرنسا ٣٠٠٠ ولكن للأسباب السابقة الذكر فإنه بحكم المؤكد أن العدد الإجمالي أكبر من ذلك بكثير حيث تشير بعض التقديرات إلى أن عدد الفلسطينيين في ألمانيا وحدها يتجاوز ال ٢٠٠٠٠٠ وفي بريطانيا حوالي ٥٠٠٠٠ وكذلك الدول الأخرى والتي لم يشملها تقدير المجلس الأوروبي والتي يتواجد بها عدد لا بأس به من الفلسطينيين كهولندا وإيطاليا والنمسا وإسبانيا وغيرها.

بالرغم من الخصائص المشتركة التي تجمع الفلسطينيين في الشتات إلا أن هناك فروقات لا يمكن التغاضي عنها كالوضع الإجتماعي والخلفية الثقافية ودرجة التأقلم مع المجتمعات المضيفة وغيرها.

أهم الفروقات وبشكل عام هي أن الهجرات الجماعية الأولى أبرزت طبقة من حملة الشهادات العليا والذين إستطاعوا الإندماج في المجتمعات المضيفة بعكس الموجات الجديدة التي تعتبر أقل تعليما وأقل إندماجا في المجتمعات مع وجود نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل.

سأحاول هنا تناول بعض الخصائص للجاليات الرئيسية في أوروبا حسب ما ورد في عدة بحوث كان أهمها ما نوقش في ورشة عمل خصصت للاجئين الفلسطينيين في أوروبا أقامتها كلية سان أنطوني بجامعة أوكسفورد عام ٢٠٠٠ وشارك فيها باحثون من مختلف الدول الأوروبية وعدة دراسات أخرى:

ألمانيا:

ينطبق على ألمانيا ما ينطبق على غيرها من الدول وأعني هنا صعوبة الإحصاء والخصائص العامة وموجات الهجرة ويقدر عدد الجالية هنا بين ٨٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ مع تركز عدد كبير منهم في مدينة برلين التي يقدر عدد الفلسطينيين فيها بعشرات الآلاف.

تتشكل غالبية الجالية هناك من مجموعتين أساسيتين: لاجئين من مخيمات لبنان عقب الإجتياح عام ١٩٨٢ ومن أبناء قطاع غزة عقب إندلا ع الإنتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ ومعظمهم من الشباب.

يغلب على أبناء الجالية هناك تدني المستوى التعليمي بشكل عام وصعوبات من ناحية اللغة والتخاطب وإنتشار البطالة والعمل في المهن الحرفية ويعتمد الكثيرون على المعونات الإجتماعية التي تقدمها الدولة، وهذا لا ينفي أن بعض أبناء الجالية حققوا نجاحات ملحوظة خاصة في مجال التجارة.

تعاني فئة السيدات في ألمانيا بشكل خاص من شعور عام بالإنطوائية والعزلة حيث تتشكل غالبيتهن من زوجات إلتحقن بأزواجهن. أيضا تجد النساء الفلسطينيات في ألمانيا صعوبة في التعامل مع أبنائهن لضعفهن في اللغة الألمانية التي يجيدها الأبناء.

تتميز الجالية في ألمانيا وبشكل عام بإنعدام التنسيق بينها وتوجد عدة جاليات رسمية في المدن الرئيسية بل أحيانا أكثر من جالية في المدينة الواحدة دون تنسيق يذكر أو فعل حقيقي.

الدول الإسكندنافية:

تشترك الجالية الفلسطينية في الدول الإسكندنافية وبشكل كبير مع ألمانيا في الخصائص ولكن يضاف إليها أن الكثيرين من أبناء الجالية فيها يعاني من أمراض نفسية تتعلق بتجاربهم المأساوية السابقة وبخاصة Stress Syndrome Post Traumatic وكذلك من البطالة (حوالي ٧٠%)وإنعدام الرغبة الحقيقية في التعليم (أقل من ٥% يتجه نحو التعليم العالي).

بشكل عام ينظر أبناء الجالية بعين من الشك والريبة لمحاولات دمجهم في المجتمعات المضيفة وبنظرة سلبية واضحة عبّر عنها أحد اللاجئين في الدنمارك بقوله: "نحن هنا في حالة تقاعد مبكر، في لبنان كنا نموت ببطء أما هنا فالموت سريع!" إضافة للتصادم الثقافي والإجتماعي بين المجتمعات الأصلية المحافظة نوعا والمجتمعات الغربية الأكثر إنفتاحا.

يلاحظ أيضا إرتفاع نسبة الطلاق بين أبناء الجالية وإنعدام التواصل والتباين الجغرافي مع غياب حضور فاعل وحقيقي لجالية منظمة.

متوسط أعمار أبناء الجالية الفلسطينية في الدول الإسكندنافية هو ٤٠ عاما.

بريطانيا:

تختلف الجالية الفلسطينية في بريطانيا عن مثيلاتها في ألمانيا والدول الإسكندنافية حيث وصلت موجات الهجرة الأولى في الأربعينيات عقب النكبة مباشرة وتلتها هجرات متعاقبة

كان آخرها عقب حرب الخليج الثانيةعندما إلتحق عدد كبير من سكان الخليج الميسورين نسبيا بأبنائهم المقيمين في بريطانيا.

الإتجاه العام هو تعليمي حيث حصل العديد من أبناء الجالية على شهادات عليا ويتبوؤن مراكز مرموقة خاصة في الجامعات والمستشفيات. كذلك هناك نجاحات على مستوى رجال الأعمال والذين يتركز نشاطهم داخل العاصمة لندن.

رغم نشاط الجالية النسبي إلا أن حجم المشاركة الفعلي في القضايا التي تهم الوطن الأم يبقى محدودا خاصة من طبقة معينة تحاول الإنفصال عن مجريات الأمور في فلسطين والإندماج بشكل أكبر داخل المجتمع البريطاني المتعدد الأعراق خاصة في المدن الرئيسية حيث يتركز وجود الجالية بشكل رئيسي.

يوجد أيضا عدد لا بأس به من طالبي اللجوء من الشباب والعائلات الذين لم ينظر في أمرهم بعد وهو ما يجعل وضعهم غير مستقر بشكل عام خاصة بعد صدور العديد من القوانين التي تقيد طلبات اللجوء.

فرنسا:

يتشابه وضع الجالية في فرنسا بعمومياته مع وضعها في بريطانيا مع ملاحظة الفروقات التالية:

غياب أي تمثيل رسمي للفلسطينيين في فرنسا وإنعدام وجود المؤسسات حتى الأهلية مع ضعف واضح في التواصل وإندماج ملحوظ في المجتمع الفرنسي المبني على نظرية الإستيعاب والإندماج وهو ما كان له تأثير واضح على الجالية الفلسطينية صغيرة العدد هناك.

يعتمد حوالي ٣٠٠ طالب فلسطيني دارس في الجامعات الفرنسية على دعم أسرهم من الخارج عكس الطلبة في ألمانيا الذين يعتمدون في الأساس على المساعدات الحكومية رغم قلة عددهم مقارنة بحجم الجالية هناك (حوالي ٣٠٠٠ طالب).

برغم التنوع والإمتداد الجغرافي للفلسطينيين في أوروبا في الدول المذكورة وغيرها التي تفتقر لأية إحصاءات أو دراسات رغم تواجد أعداد لا بأس بها من أبناء فلسطين فيها، يتضح أن الجاليات الفلسطينية في أوروبا تعيش حالة من التشرذم والتشتت وضياع البوصلة السياسية وفي بعض الأحيان ضعف الرابط مع الوطن الأم وكذلك التباين الكبير في نشاطاتها وإنجازاتها.

تعكس هذه الجاليات الصورة الأصلية للمجتمع الفلسطيني وكأنها مرآة تعكس طبقات وفئات وأفكار الشعب الفلسطيني ككل ففي هذه الجاليات المتعلم والثري والعاطل عن العمل والمفكر والثورجي والإنتهازي والناجح وغيرهم في نسيج غريب من الإيجابيات والسلبيات لكنها أيضا تختلف عن المجتمع الفلسطيني الأم بحكم وجودها في مجتمعات تختلف فكريا وإجتماعيا وثقافيا وفي بعض الأحيان مجتمعات عدائية ومتحيزة ضد حقوق الشعب الفلسطيني مما يضع تلك الجاليات في موقع المسؤولية ويفرض عليها إلتزامات وواجبات

قليلة هي الدراسات عن الشتات الفلسطيني، مقارنة بالأعمال المهمة التي تعالج موضوع اللاجئين الفلسطينيين وخصوصية أوضاعهم من الزاوية السياسية، لكن نادراً ما تتم معالجة وجودهم كمجتمعات

في حالة حراك وتنقل أو يلتفت إلى بحث أوضاعهم المدنية والإنسانية في البلدان

المضيفة.

إن وجود أعداد كبيرة من الفلسطينيين في أوروبا، حديثة نسبياً قياساً إلى وجودهم في أمريكا أو العالم العربي، وتوجد أكبر مجتمعات الاغتراب في ألمانيا، والبلدان الإسكندنافية، بريطانيا، إسبانيا، فرنسا، إيطاليا، هولندا، اليونان على التوالي. وبشكل أقل في بلدان أوروبية أخرى روسيا، أوكرانيا، بلغاريا ...

بعض الدراسات تعتبر "أن الشتات الفلسطيني" ظاهرة جديدة وحديثة نسبياً، ويميل غالبية أصحاب هذا الرأي إلى التمسك بصفة اللاجئ وإطلاقها على فلسطين الشتات أي كانوا، وذلك تعبيراً عن حق العودة إلى الوطن.

ومع أن معظم فلسطينيي الشتات هن لاجئون، إلا أنه من السهل ملاحظة أن الشتات الفلسطيني بدأ في الواقع قبل عام ١٩٤٨ كجزء من الهجرة من المقاطعات العثمانية إلى الأمريكيتين في أواخر القرن التاسع عشر، وهي بدايات هجرة لأسباب اقتصادية إلى هجرة قسرية ويقول ادوارد سعيد "إن الحياة في النضال تسير وفق أجندة مغايرة عن الوطن تتداخل فيها الفصول ويتلامس فيها الإحساس والاستقرار، ويرى في المنفى حياة خارج المألوف تمضي بمسافات تبدو متناغمة، إلا أنها متناقضة في الوقت ذاته ما إن تبدأ بألفتها والاعتياد عليها، حتى تثور قوى التغيير وعدم الاستقرار الكامنة فيها من جديد".

فلسطين كبلد مستقل للمهاجرين

•كانت فلسطين في وقت من الأوقات بلد مزدهر نسبياً ومركزاً تنويرياً في منطقة الشرق الأوسط، وقد جذبت على الدوام المهاجرين وباستثناء الهجرة اليهودية التي تمت بحوافز سياسية، فجذبت إليها مهاجرين مقاولين ورجال أعمال وعمالاً من البلدان العربية. وقد أطلق المهاجرين على المناطق التي سكنوها، أسماء بلدانهم الأصلية مثل "سوق الشام" و "جمعيات خاصة بهم" مثل "الجمعية المصرية، والجمعية السورية"، وقدر عدد الأجانب ممن أقاموا في فلسطين عام ١٩٤٨ بحدود ١٠٠,٠٠٠ شخص بدون المستخدمين البريطانيين.

إن موجه الهجرة الكبرى الأولى من منطقة المشرق العربي تمت في نهاية القرن التاسع

عشر خلال فترة الحكم العثماني إلى أمريكا الجنوبية ثم أمريكا الشمالية. وكان الفلسطينيون جزءاً من هذه الهجرة. وهذا يشرح أسباب وجود أقدم جالية في أوروبا في جزر "الكناري"، حيث كان المهاجرون يتوقفون هناك عدة أشهر، ثم لا يلبث أن يستقر بعضهم في الجزيرة. وحظيت فلسطين من النصيب الأكبر من هجرة المسلمين الأوروبيين ومن هؤلاء البوسنيون والشيشان والأتراك والإيرانيين. وحتى بعد طرد الفلسطينيين عام ١٩٤٨، أختار عدد قليل منهم الاستقرار في أوروبا والأقل استقر في بريطانيا. وبعد أكثر من عشر سنوات على النكبة بدأ يتوافد إلى ألمانيا الغربية طلباً للعمل مئات من العمال الفلسطينيين، وأدت حرب عام ١٩٦٧ إلى تأثير فوري على حركة الهجرة باتجاه أوروبا، بحيث أصبح حوالي ٣٠٠,٠٠٠ من الفلسطينيين من سكان القطاع والضفة الغربية ممن كانوا في الخارج خلال الحرب مهجرين خارج وطنهم، حيث رفضت إسرائيل السماح لهم بالعودة.

أنماط الهجرة الفلسطينية إلى أوروبا وأسبابها

•منذ السبعينيات، وخاصة في الثمانينيات والتسعينيات، بدأ يظهر تغير في نمط الهجرة الفلسطينية إلى أوروبا، فاعتمدت سلطات الاحتلال سلسلة من الإجراءات والقرارات الإدارية التي تستهدف إفراغ هذه المناطق من سكانها من جهة أخرى، أدى إلى ظهور حركة المقاومة الفلسطينية والعلاقات غير السهلة، وأحياناً الصدامية بينها ومع حكومات الدول العربية المضيفة إلى التوتر، وإلى القيود المفروضة على حركتهم، وفقدانهم للحقوق المدنية، دفعت بالفلسطينيين إلى البحث عن ملجأ آمن إلى الهجرة، فتحولت من حالات فردية إلى حالات جماعية في ذروة الحرب الأهلية في لبنان من قبل سكان المخيمات المدمرة، وفي أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وخروج م. ت. ف. وما لحق ذلك كله من مجازر (مجزرة صبرا وشاتيلا على سبيل المثال) إلى ألمانيا، وفيما بعد إلى البلدان الإسكندنافية وأيضاً إلى بلدان وسط وشرق أوروبا.

إن محاولة انتزاع اللاجئين الفلسطينيين المطرودين من ديارهم، والعمل على استقرارهم في مناطق بعيدة عن حدود الدولة العبرية، تقع في صلب المنطلقات الإيديولوجية

للحركة الصهيونية. وأن الإجراءات المتصاعدة لتقييد حرية الفلسطينيين، وحصر فرص توظيفهم وحرمانهم من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية في معظم البلدان العربية، فإنها تسهل محاولات الإبعاد تلك.

وفي واقع الحال فقد بدأ أعداد واسعة من حملة جوازات السفر الفلسطينية الصادرة عن السلطة الفلسطينية بطلب اللجوء في أوروبا، وهؤلاء بصورة رئيسية شباب في مقتبل العمر.

التوزع الديمغرافي والوضع القانوني

•من الصعب التحقق بدقة من عدد الفلسطينيين الذين يعيشون في أوروبا، لأنهم يصنفون في معظم الحالات في خانة واحدة مع المهاجرين الوافدين من البلدان التي وصلوها آخر مرة قبل هجرتهم، أو أنهم يضافون إلى فئة الأشخاص المحرومين من الجنسية أو غير المحددة جنسيتهم، ووفق التقديرات الأقرب إلى الصواب يقدر عددهم ٢٠٠,٠٠٠ شخص في أوروبا، يعيش معظمهم في دول الاتحاد الأوروبي، إلا أن أعداداً أخرى موجودة في دول وسط وشرق أوروبا، حيث بقيت في ألمانيا ٨٠,٠٠٠، والبلدان الإسكندنافية ٥٥,٠٠٠، بريطانيا ٢٠,٠٠٠، إسبانيا ١٢,٠٠٠، فرنسا ٥٠٠٠، اليونان ٤٠٠٠، بلدان أخرى ٢٥٠٠٠.

ويقدر عدد فلسطينيي لبنان في ألمانيا نحو ٨٠% من إجمالي الفلسطينيين المقيمين في ألمانيا، ويمكن أن يقال الشيء ذاته بالنسبة لبقية البلدان. ويعود هذا لسببين: سياسة التمييز والظروف الاقتصادية الصعبة. ويؤكد مسح قام به معهد العلوم الاجتماعية التطبيقية في النرويج المعروف باسم (فافو) أن واحداً من أصل عشرة مقيمين في لبنان لديه شخص واحد من أقرب أقربائه يعيش في أوروبا، وبشكل عام هناك رغبة لدى الشباب العربي بالهجرة كما تقول تقارير التنمية البشرية العربية، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية، بسبب الركود الاقتصادي، العام الذي يجتاح المنطقة، والرؤية السوداء للمستقبل، وفي الواقع أن لدى الفلسطينيين دوافع أكبر للهجرة بسبب ضآلة الفرص المتاحة أمامهم.

إن الغالبية العظمى من المهاجرين الفلسطينيين محرومون من الجنسية، ويحملون إما

وثائق سفر أو جوازات سفر فلسطينية لا تزال تعتبر في الواقع وثائق سفر بموجب القانون الدولي حتى يأتي الوقت الذي توجد فيه دولة كاملة السيادة. وغني عن القول، إن اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من وطنهم عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧، لم يفقدوا بيوتهم وممتلكاتهم فحسب، بل فقدوا مواطنتهم ووفق تقديرات فإن أكثر من نصف العدد الإجمالي للفلسطينيين في كافة أرجاء العالم محرومون من الجنسية، وفقدان المواطنة هي المسألة الأهم التي شكلت أكثر من غيرها للأجيال الجديدة في المنفى من اللاجئين الفلسطينيين بسبب ما يتعرضون له من التمييز الذي حول حياتهم إلى معاناة متصلة يتم توارثها باستمرار.

•لقد استثنى اللاجئين الفلسطيني من نظام الحماية الدولية كلاجئين، بما في ذلك معاهدة جنيف (١٩٥١) الخاصة بوضع اللاجئين وصلاحيات المفوضية العليا لشؤون اللاجئين والمعاهدة الخاصة بعد الجنسية لعام ١٩٥٤. وفي واقع الحال فإن المفوضية العليا لشؤون اللاجئين قد تدخلت في وضع اللاجئين الفلسطينيين مرتين على الأقل خلال حرب الخليج الأولى والثانية عندما طردوا من ليبيا صيف عام ١٩٩٥، ومؤخراً في العراق بعد احتلال العراق، وما يشير له التوضيح الصادر عن المفوضية العليا للاجئين في أكتوبر ٢٠٠٢، كدليل إرشاد، للهجمة في الدول الأعضاء، بتبني نظام الحماية الدولية على اللاجئين الفلسطينيين، وذلك خارج مناطق عمليات الأونروا الخمس وهي: الأردن، سوريا، لبنان، الضفة الغربية، قطاع غزة. إن تشتت اللاجئين الفلسطينيين في المنطقة العربية وخارجها كان ولا يزال أحد أهداف السياسة الإسرائيلية الرسمية. لقد عرضت كندا بوصفها رئيس مجموعة العمل بشأن اللاجئين في المفاوضات متعددة الأطراف وبعض البلدان الأخرى استيعاب عدد من اللاجئين الفلسطينيين كجزء من اتفاق سلام شامل.

إن الافتراض القائل أن البلدان الأوروبية تفتح أذرعها واسعاً للترحيب باللاجئين الفلسطينيين ليس أكثر من وهم يفتقد إلى أي أساس واقعي. فالعديد من البلدان الأوروبية خلال السنوات القليلة الماضية، أصبحت أكثر تهيباً وتلكؤاً بخصوص تطبيق المعاهدات الدولية بشأن اللاجئين وفاقدي الجنسية.

الخصائص الاجتماعية وتحديات التكيف

•تتصف مجتمعات الفلسطينيين في أوروبا بتنوع ملحوظ من حيث خلفيتها الاجتماعية والشفافية ومستوى اندماجها في مجتمعاتها المضيفة الجديدة، وهو ما ينعكس على هوية هذه المجموعات، وتشتت مجموعات صغيرة مبعثرة في المجتمعات الجديدة، وفشل تلك المجموعات في الاحتفاظ بروابط قوية مع الوطن أدى إلى إضعاف روابط المجتمع والحس بالهوية على المستوى الوطني خاصة بين الأجيال الجديدة. ويلاحظ أن مستوى التعليم والاعتياد على بيئة ثقافية جديدة ونوعية المساعدة التي تقدمها المجتمعات، لم يتم التكييف معها بشكل كافٍ، وأن الجاليات الفلسطينية في أوروبا أبدت استعداداً متفاوتاً إزاء الانفتاح والاندماج ولعب دور في الحياة العامة في المجتمعات الجديدة.

صحيح هناك نجاحات فردية لرجال أعمال ومهنيون متعلمون أسسوا أنفسهم منذ فترة طويلة، لكن أغلبية أفراد مجتمعات الشتات الفلسطيني حديثه النشأة من اللاجئين يواجهون صعوبات هائلة في التكيف والاندماج في المجتمعات الجديدة. إن السن والجنس ومستوى التعليم هي عوامل مهمة في تحديد القدرة على التكيف والاندماج ومواجهة تحديات الهوية في المجتمعات الجديدة. إن صغار السن وأصحاب المهارات والمهن منهم يتكيفون جيداً. إن الجيل الثاني من المهاجرين الفلسطينيين يحاول التوفيق بين قيم الآباء والأمهات الموروثة، وبين قيم الثقافة الجديدة السائدة.

خلاصة:

تعد الهجرة الفلسطينية إلى أوروبا ظاهرة حديثة، والمتوقع أن يستمر وصول موجات الهجرة تلك إلى أوروبا بسبب تواصل الفشل للصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وتصاعد أعمال الاعتداءات الوحشية الإسرائيلية، وبسبب القيود على حرية حركة الفلسطينيين، وفرص العمل وحقوقهم الاجتماعية الاقتصادية في البلدان العربية المضيفة. إن مجتمعات الهجرة الفلسطينية إلى أوروبا متنوعة نسبياً وخصائصها المشتركة فيها تتناغم إلى كبير، وغالباً فإنها في عملية تكوين متمايزة داخلياً وفق متغيرات العمر

والتجربة ونوع الجنس والتعليم والوضع الاقتصادي والاجتماعي، ومن الواضح أن أفراد المجموعات الأولى من المهاجرين الفلسطينيين الأكثر اهتماماً ورغبة أعلى في الاندماج وفي لعب دور أكثر جدية في الحياة العامة للمجتمع الجديد الذين وجدوا أنفسهم فيه، مع الاستمرار في الاحتفاظ بصلات وروابط قوية مع جذورهم. لكن المجموعات الوافدة حديثاً من المهاجرين فلا يزال على أفرادها التأقلم والتغلب على التحديات الهائلة وصراعات الهوية الأكثر حدة، التي تقترب من أن تكون خطيرة وماسحة أحياناً. فما زالت أمامهم تجارب خاضوها تؤثر كلها في عملية الصراع الداخلي بأمل الوصول إلى تحقيق إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة، تصبح المكان والهوية التي يتوجه لها الشتات الفلسطيني.

هيئة تحرير الموقع

الجاليات الفلسطينية في أوروبا

بحث وإعداد د.إبراهيم حمامي

مقدمة:

يزداد أبناء الشعب الفلسطيني في اللجوء والشتات عددا ويزداد الحديث عنهم وعن دورهم خاصة في ظل ما يحاك لإسقاط حق العودة الذي يمس ويهم كل فلسطيني أينما وجد. هذا الدور شبه مغيب لأسباب سأحاول هنا حصرها وإقتراح حلول لها مع برنامج عمل مقترح، وذلك لتفعيل دور الجاليات في الشتات عموما وفي أوروبا خصوصا ليستمر التواصل مع وطننا الأم حتى تحقيق الحلم بالتحرير والعودة.

لمحة تاريخية:

خاض الشعب الفلسطيني خلال القرن الماضي صراعا مريرا ومتصلا في ظل إنحياز عالمي كامل ضده وتآمر إقليمي ودولي أسفر عن ضياع فلسطين على مرحلتين وتشريد مئات الآلاف من أبناء فلسطين وتهجيرهم من وطنهم الأصلي ليتوزعوا على مناطق اللجوء والمهجر وليبدأوا رحلة عذاب جديدة لإثبات الذات وبناء مجتمعات الشتات والتواصل مع الوطن السليب وإبقاء حلم التحرير والعودة حيا يورثه الآباء لأبنائهم.

لم تكن الدول الأوروبية ملاذا أساسيا لموجات الهجرة القسرية الأولى عام ١٩٤٨ التي أجبرت الفلسطينيين على مغادرة الوطن كما هو الحال بالنسبة للدول العربية المجاورة لفلسطين، باستثناء بريطانيا التي هاجر إليها البعض عام ١٩٤٨ لينشأوا نواة لمجتمع جديد .

تغير هذا الوضع بعد هزيمة عام ١٩٦٧ والممارسات القمعية للإحتلال والتي حولت أبناء فلسطين إلى لاجئين داخل وطنهم وكذلك الضغوطات والإجراءات التشديدية من قبل الدول المضيفة للاجئين وإمتداد المواجهات المسلحة لما عرف بدول المواجهة والتي أدت جميعها لموجة نزوح جديدة وهجرة نحو المنافي البعيدة والتي كان للدول الأوروبية منها نصيب.

شكّل الطلبة الجزء الأساسي من موجات الهجرة الجديدة خاصة إلى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا مما يفسر إرتفاع نسبة المتعلمين من الفلسطينيين في بعض هذه المجتمعات.

بعد ذلك وصل الآلاف خاصة من مخيمات لبنان بعد إجتياح عام ١٩٨٢ إلى الدنمارك وهولندا والنرويج والسويد وألمانيا .

الموجة التالية كانت بعد إندلا ع الإنتفاضة الأولى خاصة بعد قرار الحكومة الألمانية قبول طلبات اللجوء من أبناء الضفة والقطاع مما يفسر إرتفاع عدد أبناء قطاع غزة خاصة في مدينة برلين.

آخر موجات الهجرة الجماعية كانت عقب حرب الخليج الثانية حيث إلتحق العديد من سكان الخليج من الفلسطينيين الميسورين نسبيا بأبنائهم المتواجدين في الشتات خاصة بريطانيا وفرنسا، إضافة لأميركا الشمالية.

توزيع الجاليات وخصائصها:

حصر أعداد الفلسطينيين في أوروبا مسألة شاقة ومعقدة لعدة أسباب أهمها غياب أي حصر رسمي لهم خاصة في ظل القوانين المحلية التي لا تعترف بهم في كثير من الأحيان كجنسية أو فئة أو أقلية منفصلة بل تضعهم ضمن تقسيمات مثل (من الشرق الأوسط- آخرين) أو تردهم للدول التي قدموا منها كتصنيف حملة الوثائق حسب البلدان التي أصدرت تلك الوثائق أو إعتبارهم دون وطن.(Stateless) –

يقدر العدد بشكل عام بحوالي ٢٠٠٠٠٠ حسب المجلس الأوروبي موزعين كالتالي ألمانيا ٨٠٠٠٠ – الدنمارك ٢٠٠٠٠ – بريطانيا ١٥٠٠٠ – السويد ٩٠٠٠ وفرنسا ٣٠٠٠ ولكن للأسباب السابقة الذكر فإنه بحكم المؤكد أن العدد الإجمالي أكبر من ذلك بكثير حيث تشير بعض التقديرات إلى أن عدد الفلسطينيين في ألمانيا وحدها يتجاوز ال ٢٠٠٠٠٠ وفي بريطانيا حوالي ٥٠٠٠٠ وكذلك الدول الأخرى والتي لم يشملها تقدير المجلس الأوروبي والتي يتواجد بها عدد لا بأس به من الفلسطينيين كهولندا وإيطاليا والنمسا

وإسبانيا وغيرها.

بالرغم من الخصائص المشتركة التي تجمع الفلسطينيين في الشتات إلا أن هناك فروقات لا يمكن التغاضي عنها كالوضع الإجتماعي والخلفية الثقافية ودرجة التأقلم مع المجتمعات المضيفة وغيرها.

أهم الفروقات وبشكل عام هي أن الهجرات الجماعية الأولى أبرزت طبقة من حملة الشهادات العليا والذين إستطاعوا الإندماج في المجتمعات المضيفة بعكس الموجات الجديدة التي تعتبر أقل تعليما وأقل إندماجا في المجتمعات مع وجود نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل.

سأحاول هنا تناول بعض الخصائص للجاليات الرئيسية في أوروبا حسب ما ورد في عدة بحوث كان أهمها ما نوقش في ورشة عمل خصصت للاجئين الفلسطينيين في أوروبا أقامتها كلية سان أنطوني بجامعة أوكسفورد عام ٢٠٠٠ وشارك فيها باحثون من مختلف الدول الأوروبية وعدة دراسات أخرى:

ابو دلال

29-12-2004, 07:33 PM

ألمانيا:

ينطبق على ألمانيا ما ينطبق على غيرها من الدول وأعني هنا صعوبة الإحصاء والخصائص العامة وموجات الهجرة ويقدر عدد الجالية هنا بين ٨٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ مع تركز عدد كبير منهم في مدينة برلين التي يقدر عدد الفلسطينيين فيها بعشرات الآلاف .

تتشكل غالبية الجالية هناك من مجموعتين أساسيتين: لاجئين من مخيمات لبنان عقب الإجتياح عام ١٩٨٢ ومن أبناء قطاع غزة عقب إندلا ع الإنتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ ومعظمهم من الشباب.

يغلب على أبناء الجالية هناك تدني المستوى التعليمي بشكل عام وصعوبات من ناحية اللغة والتخاطب وإنتشار البطالة والعمل في المهن الحرفية ويعتمد الكثيرون على المعونات الإجتماعية التي تقدمها الدولة، وهذا لا ينفي أن بعض أبناء الجالية حققوا نجاحات ملحوظة خاصة في مجال التجارة.

تعاني فئة السيدات في ألمانيا بشكل خاص من شعور عام بالإنطوائية والعزلة حيث تتشكل غالبيتهن من زوجات إلتحقن بأزواجهن. أيضا تجد النساء الفلسطينيات في ألمانيا صعوبة في التعامل مع أبنائهن لضعفهن في اللغة الألمانية التي يجيدها الأبناء.

تتميز الجالية في ألمانيا وبشكل عام بإنعدام التنسيق بينها وتوجد عدة جاليات رسمية في المدن الرئيسية بل أحيانا أكثر من جالية في المدينة الواحدة دون تنسيق يذكر أو فعل حقيقي.

الدول الإسكندنافية:

تشترك الجالية الفلسطينية في الدول الإسكندنافية وبشكل كبير مع ألمانيا في الخصائص ولكن يضاف إليها أن الكثيرين من أبناء الجالية فيها يعاني من أمراض نفسية تتعلق بتجاربهم المأساوية السابقة وبخاصة Post Traumatic Stress Syndrome وكذلك من البطالة (حوالي ٧٠%)وإنعدام الرغبة الحقيقية في التعليم (أقل من 5% يتجه نحو التعليم العالي.(

بشكل عام ينظر أبناء الجالية بعين من الشك والريبة لمحاولات دمجهم في المجتمعات المضيفة وبنظرة سلبية واضحة عبّر عنها أحد اللاجئين في الدنمارك بقوله: "نحن هنا في حالة تقاعد مبكر، في لبنان كنا نموت ببطء أما هنا فالموت سريع!" إضافة للتصادم الثقافي والإجتماعي بين المجتمعات الأصلية المحافظة نوعا والمجتمعات الغربية الأكثر إنفتاحا.

يلاحظ أيضا إرتفاع نسبة الطلاق بين أبناء الجالية وإنعدام التواصل والتباين الجغرافي مع غياب حضور فاعل وحقيقي لجالية منظمة.

متوسط أعمار أبناء الجالية الفلسطينية في الدول الإسكندنافية هو ٤٠ عاما
.

بريطانيا:

تختلف الجالية الفلسطينية في بريطانيا عن مثيلاتها في ألمانيا والدول الإسكندنافية حيث وصلت موجات الهجرة الأولى في الأربعينيات عقب النكبة مباشرة وتلتها هجرات متعاقبة كان آخرها عقب حرب الخليج الثانية عندما إلتحق عدد كبير من سكان الخليج الميسورين نسبيا بأبنائهم المقيمين في بريطانيا.

الإتجاه العام هو تعليمي حيث حصل العديد من أبناء الجالية على شهادات عليا ويتبوؤن مراكز مرموقة خاصة في الجامعات والمستشفيات. كذلك هناك نجاحات على مستوى رجال الأعمال والذين يتركز نشاطهم داخل العاصمة لندن.

رغم نشاط الجالية النسبي إلا أن حجم المشاركة الفعلي في القضايا التي تهم الوطن الأم يبقى

محدودا خاصة من طبقة معينة تحاول الإنفصال عن مجريات الأمور في فلسطين والإندماج بشكل أكبر داخل المجتمع البريطاني المتعدد الأعراق خاصة في المدن الرئيسية حيث يتركز وجود الجالية بشكل رئيسي.

يوجد أيضا عدد لا بأس به من طالبي اللجوء من الشباب والعائلات الذين لم ينظر في أمرهم بعد وهو ما يجعل وضعهم غير مستقر بشكل عام خاصة بعد صدور العديد من القوانين التي تقيد طلبات اللجوء.

فرنسا:

يتشابه وضع الجالية في فرنسا بعمومياته مع وضعها في بريطانيا مع ملاحظة الفروقات التالية:

غياب أي تمثيل رسمي للفلسطينيين في فرنسا وإنعدام وجود المؤسسات حتى الأهلية مع ضعف واضح في التواصل وإندماج ملحوظ في المجتمع الفرنسي المبني على نظرية الإستيعاب والإندماج وهو ما كان له تأثير واضح على الجالية الفلسطينية صغيرة العدد هناك.

يعتمد حوالي ٣٠٠ طالب فلسطيني دارس في الجامعات الفرنسية على دعم أسرهم من الخارج عكس الطلبة في ألمانيا الذين يعتمدون في الأساس على المساعدات الحكومية رغم قلة عددهم مقارنة بحجم الجالية هناك (حوالي ٣٠٠٠ طالب.(

برغم التنوع والإمتداد الجغرافي للفلسطينيين في أوروبا في الدول المذكورة وغيرها التي تفتقر لأية إحصاءات أو دراسات رغم تواجد أعداد لا بأس بها من أبناء فلسطين فيها، يتضح أن

الجاليات الفلسطينية في أوروبا تعيش حالة من التشرذم والتشتت وضياع البوصلة السياسية وفي بعض الأحيان ضعف الرابط مع الوطن الأم وكذلك التباين الكبير في نشاطاتها وإنجازاتها.

تعكس هذه الجاليات الصورة الأصلية للمجتمع الفلسطيني وكأنها مرآة تعكس طبقات وفئات وأفكار الشعب الفلسطيني ككل ففي هذه الجاليات المتعلم والثري والعاطل عن العمل والمفكر والثورجي والإنتهازي والناجح وغيرهم في نسيج غريب من الإيجابيات والسلبيات لكنها أيضا تختلف عن المجتمع الفلسطيني الأم بحكم وجودها في مجتمعات تختلف فكريا وإجتماعيا وثقافيا وفي بعض الأحيان مجتمعات عدائية ومتحيزة ضد حقوق الشعب الفلسطيني مما يضع تلك الجاليات في موقع المسؤولية ويفرض عليها إلتزامات وواجبات.

في الجزء الثاني: أسباب الفشل وعوامل النهوض بالجاليات

في الجزء السابق تناولت الظروف التاريخية للجاليات في أوروبا وخصائصها في أماكن التجمع الرئيسية، في هذا الجزء أستكمل بدراسة أسباب التراجع وأخطاء الماضي وعموميات النهوض بالجاليات.

مع إستثناءات بسيطة فإن الفشل هو العنوان الرئيسي المصاحب لهذه الجاليات، لا أعني هنا الفشل على المستوى الفردي ولكن الفشل على مستوى العمل المشترك وتفعيل دور الجاليات والتواصل بينها وبين الوطن الأم والقيام بالدور المنشود في التعريف بقضايانا العادلة وحشد التأييد لها والنهوض بالمستوى الثقافي والحضاري لأبناء الجالية والتأكيد على حق العودة خاصة أن معظم أبناء الجاليات إن لم يكن جميعهم هم بالأساس لاجئون.

أسباب الفشل والتراجع في أداء الجاليات:

يصعب تعميم أسباب الفشل والتراجع لخصوصية الجاليات التي سبق ذكرها ولكن هناك أسباب عامة تنطبق على الجميع دون إستثناء وتشمل:

•إجترار الماضي والبكاء على الأطلال.

بمعنى رفض الإعتراف بإختلاف المجتمعات المضيفة مقارنة بالمجتمعات الأصلية وصعوبة الحياة في بدايتها حيث قد نجد أن فلسطينيا ناجحا في بلد الإقامة الأصلية في مجاله وتخصصه يضطر أن يصبح طالبا من جديد وهو ما لا يسهل إبتلاعه ليبقى ذلك الطبيب في أوهام النجاحات السابقة ةليصبح عدوا لكل ما حوله رافضا أية مشاركة في فعاليات أو غيرها.

•تكرار الأخطاء وعدم الإستفادة من تجارب الآخرين .

هناك جاليات أقدم بكثير من الجاليات الفلسطينية عاشت نفس تجاربها وأخطائها وبعضها تجاوزها ومن المهم الإستفادة من تلك التجارب خاصة في عصر السرعة الذي نعيشه.
أيضا هناك تجارب فاشلة متكررة داخل الجالية الواحدة والتي يصر أبناؤها
على تكرارها بقصد أو دون قصد.

•الإرث التنظيمي لأبناء الجالية الواحدة.

وهو ما أصبح واضحا بعد موجات الهجرة الأخيرة من الداخل المحتل ومن المخيمات حيث إحتفظ كل فرد من أبناء الجالية بالولاء لهذا التنظيم أو ذاك مع الإستعداد التام للدخول في مواجهات ومعارك مع الآخرين نصرة لتنظيمه أو إفشال كل عمل يقوم به الآخر لأنه ببساطة سيكون إنجاز لهذا الآخر!

•الجمود القاتل في عقلية من يدعون القيادة.

وفي بعض الأحيان الجهل! حيث نجد أن هناك من يتصدر للقيادة دون مؤهلات علمية أو شخصية قيادية وفي كثير من الأحيان جهل باللغة العربية ولغة الدولة المضيفة مما يؤدي إلى جمود ومقاومة للتغيير وإنعدام الإحترام لهذه الجالية.

•إنعدام روح المبادرة والتطوير و التقليد الأعمى خاصة من قبل من يدعون قيادة الجاليات.

•محاولة ربط الجاليات بالمؤسسة الرسمية.

وأعني هنا من يمثل السلطة – وهي حاليا سلطة أوسلو– حيث ربطت بعض الجاليات نفسها ومن خلال دساتير قديمة بالمؤسسة الممثلة للسلطة وهو ما يفقد هذه الجاليات الديناميكية المطلوبة وحرية الحركة والعمل ويقيدها بمواقف كثيرا ما تكون مرفوضة ومستهجنة.

•إنعدام الإستقلالية في صنع القرار.

إما بسبب الربط بالمؤسسة السياسية الرسمية أو الربط المادي مع جهة أو فرد أو بسبب الضغوطات الرسمية وغير الرسمية.

•عزوف الكثير من أبناء الجالية عن المشاركة الفاعلة فيها لأسباب منطقية أحيانا وغير منطقية أحيانا أخرى مما له التأثير على تمثيل هذه لجالية.

•غياب من لديهم القدرة على القيادة والتوجيه.

•تساؤلات وشكوك مستمرة عن مصداقية الجالية وشفافيتها مما يضعف الثقة فيها وبالتالي الإمتناع عن المشاركة في نشاطاتها أو قيادتها.

هذه الأسباب ليست بأي حال شمولية بل هي مفتوحة للتعديل والإضافة والبحث والتمحيص ولكن حتى ننصف أنفسنا ولا نجلدها وحتى لا يكون النقد لمجرد النقد لابد من الإقرار أن هناك بعض النجاحات والإيجابيات وإن كانت متفرقة وتعتمد الأساس على شخص أو إثنين كتجربة الجالية الفلسطينية بالنرويج حاليا والتي كان لها تأثير على الحياة السياسية في ذلك البلد وفي مواجهة الهجمة ضد الفلسطينيين كوقوفها في وجه حملة الباص

يوم ٢٠٠٤/٠٦/١٨، كما أننا يجب أن لا ننسى وصول بعض أبناء الجاليات الفلسطينية إلى مواقع متقدمة نسبيا في الحياة السياسية بالدول المضيفة كوصول فلسطيني عام ٢٠٠١ من قضاء نابلس للبرلمان الدنماركي على سبيل المثال.

ابو دلال

31-12-2004, 04:12 PMأيضا لابد من التذكير بمؤتمر فلسطينيوا أوروبا الأول من نوعه في برلين يوم ٢٠٠٤/٠٥/١٥ تحت إشراف مركز العودة الفلسطيني والذي شارك فيه مندوبون عن ٢٨ جالية فلسطينية في أوروبا وكان شعاره التمسك بحق العودة، وهو ما يعطي الأمل بإمكانية تجميع الجاليات المبعثرة هنا وهناك.

دور الجاليات في أوروبا:

يتميز الشعب الفلسطيني بوعي وإقتدار ثقافي وفكري إستحق على أساسه إحترام وتقدير كثير من الشعوب خاصة في الدول الأوروبية.

يقع على الجاليات الفلسطينية في أوروبا مسؤولية ليست بالسهلة وتختلف عن الجاليات في مناطق الشتات لأسباب منها القرب الجغرافي النسبي، حرية التحرك والتعبير، سهولة التنقل بين الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي وقدم تواجد بعض هذه الجاليات التي وطدت ذلك التواجد وأخيرا الإمكانات المادية المجتمعة إن سخر لها أن تجتمع.

بشكل عام يمكن القول أن دور هذه الجاليات يتراوح بين النهوض بمستوى أبناء كل جالية ثقافيا وإجتماعيا وعلميا وسياسيا والتأكيد على الحقوق الثابتة وعلى رأسها حق العودة والتواصل مع الوطن السليب فلسطين والتفاعل مع الجاليات الأخرى والقضايا العامة التي تهم أبناء الجالية، يضاف إلى ذلك الإنخراط في الحياة السياسية للبلدان المضيفة والتحول إلى

مجموعة ضغط خدمة لأبناء الجالية وقضاياهم.

لو نظرنا لأحداث العام الحالي لوجدنا أن كل الجاليات تقريبا – مع إستثناءات محدودة– لم تقم بالدور المطلوب سواء على الصعيد المحلي الإجتماعي أو على مستوى القضايا الساخنة والحساسة وسأترك تفاصيل الدور والواجب المطلوبين للجزء الأخير من هذه الدراسة.

عوامل النهوض بالجاليات:

السؤال المهم: كيف يمكن إحياء الجاليات الفلسطينية في أوروبا والتي كاد دورها ينعدم والخروج من حالة التشرذم والتقوقع فالأحداث تتسارع وعجلة التطور لا تنتظر ولا وقت لدينا لإضاعته في صراعات هنا وهناك فقيادة الجالية ليست صراعا على مناصب أو تنافسا على الألقاب وليست "تشريف إنما تكليف."

تطوير وإحياء الجاليات يتطلب وجود برنامج علمي ومهني واقعي قابل للتطبيق ويتطلب أيضا وقفة لمراجعة ومحاسبة الذات وصولا إلى مستقبل أفضل ضمن أساسيات تشمل:

- تفادي أخطاء الماضي.
- التنظيم الدقيق والإستفادة من التجارب السابقة.
- إستغلال قدرات أبناء الجالية المهنية والشخصية في عملية التطوير.
- الوضوح والإنفتاح في العمل.
- نشر ثقافة التقييم والشفافية.

•تنمية الشعور بالإنتماء للجالية – هذا الإنتماء ليس إختياريا
ولا هو رهين برغبة شخصية فكل فرد في المهجر والشتات عضو في جاليته.

•الإستقلالية والفصل التام بين الجاليات وأي مراكز قوى أخرى سياسية
أو مالية وإنهاء الهيمنة المستمرة من قبل المؤسسة الحاكمة الرسمية من خلال مكاتبها و"سفاراتها" على الجاليات.

•الإبتعاد عن القضايا الخلافية والتركيز على المباديء المشتركةوالمتفق عليها.

•التصدي لمحاولات التسلق والظهور.

•التواصل بين الجاليات في الدول المختلفة.

•تشجيع الشباب خاصة من يملكون مواهب وإمكانات قيادية والتخلص من العقلية المتصلبة للحرس القديم.

•توحيد المفاهيم لدى أبناء الجالية الواحدة.

•التنسيق الميداني في كافة الأصعدة.

•التوعية السياسية لأبناء الجالية.

الخطوات العملية للتغيير:

بداية أي عمل وأهم عوامل نجاحه هو القيادة الصالحة والقادرة من خلال:

•قائد يتسم بشخصية مؤثرة ومهارات لتحقيق الأهداف المرجوة

•مجموعة من الأفراد اللازمين لتحقيق تلك الأهداف

•تنمية روح المبادرة

•الإيمان بمبدأ العمل الجماعي

كما وتعتمد أساسا على التفاعل الحقيقي بين أبناء الجالية والمشاركة البناءة في صنع القرار والمساهمة بجدية وصدق في نشاطات الجالية.

أي برنامج عمل يجب أن يأخذ بعين الإعتبار الخصائص المميزة لكل جالية وبالتالي تعديله وتطويره ليتلائم مع إحتياجات الجاليات المختلفة.

.....يتبع الجزء الثالث.....

ابو دلال

02-01-2005, 04:21 PM

إستكمالا للدراسة، يأتي الجزء الأخير ببرنامج مقترح للنهوض الفعلي بالجاليات، وهو وإن كان موجها للجاليات في أوروبا، إلا أنه قابل للتطبيق في أماكن الشتات والمهاجر الأخرى، مع مراعاة الخصوصيات.

البرنامج التالي هو محاولة متواضعة لوضع تصور قابل للتطبيق لتطوير وإحياء الجاليات الفلسطينية في أوروبا:

التمهيد والإعداد بدراسة عوامل النهوض بالجاليات السابق ذكرها (في الجزء الثاني(

أولا: التنظيم والإدارة

- حصر أبناء الجالية في كل بلد وتصنيفهم.

- إنشاء قاعدة بيانات متكاملة وتحديثها بشكل مستمر.

- الإستفادة من ثورة المعلومات وإنشاء موقع على شبكة الإنترنت يسهل الإتصال بين أبناء الجالية.

- إصدار نشرة دورية والعمل على إيصالها لكل أبناء الجالية.

- وضع برنامج واضح ومحدد الأهداف والتاريخ للنهوض بالجالية بمشاركة ذوي الخبرة والإختصاص.

- العمل على إنشاء نقابات تخصصية ضمن الجاليات لخدمة أبناء التخصص الواحد.

ثانيا: المجال الإجتماعي والثقافي

وذلك لربط أبناء الجالية بثقافة الوطن والمحافظة على الرصيد الحضاري والتراثي لشعبنا وتداعياته مع إحترام المجتمعات المضيفة عبر:

•إقامة معارض عن التراث الفلسطيني.

•نشر ثقافة العودة والإستفادة من المؤسسات الثقافية القائمة كدار الشجرة للذاكرة الفلسطينية التي يتركز نشاطها على الشباب والأطفال والجيل الذي ولد خارج فلسطين لتقدم له معلومات عن فلسطين وعن الثقافة الفلسطينية وعن تجربة شعبنا الفلسطيني وكيفية خروجه من فلسطين، وتجربة اللجوء التي عاشها أبناؤه، وكيف استطاعوا ترجمة هذه المعاناة إلى فعل نضالي يومي يعيش معهم باتجاه حلم العودة وبناء الوطن الكبير الذي نسعى لتحريره كفلسطينيين.

•تنظيم أمسيات شعرية وأدبية فلسطينية خاصة بإبداعات أبناء الجالية.

•إحياء المناسبات الثقافية ذات الدلالات المرتبطة بواقع شعبنا مثل يوم التراث الفلسطيني (٦ تشرين أول/أكتوبر) ويوم الأرض 30) آذار/مارس) ويوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني (٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر.(

•إقامة ندوات فكرية دورية.

•عقد مؤتمرات ومناظرات علمية لأبناء الجالية للإطلاع على مساهماتهم وإبداعاتهم.

•المساهمة والعمل مع جهات الإختصاص لتوثيق التاريخ الفلسطيني سواء على شكل موسوعات أو كتب.

•تشجيع حركة الترجمة لتبادل المعارف.

•إقامة لجان لمعالجة مشاكل أبناء الجالية الإجتماعية (زواج،وفاة، دعم، إسكان....إلخ.(

•تفعيل مبدأ التكافل الإجتماعي بين المعسورين والميسورين ضمن برنامج واضح ومن خلال إقامة صندوق للتكافل والتضامن الإجتماعي في كل بلد تعود بالمنفعة على أبناء الجالية.

•الإهتمام بالجيل الجديد من خلال تنظيم نشاطات تحظى بإهتمامه كالمخيمات الصيفية والدورات الرياضية وغيرها إضافة إلى إنشاء مدرسة خاصة للجاليات التي يعاني أبناؤها من ضعف لغتهم العربية

•تنظيم رحلات متبادلة بين الأجيال الشابة من وإلى فلسطين.

ثالثا: الجانب السياسي

رغم تحفظ البعض على أي دور سياسي للجاليات إلا أن طبيعة الصراع والشتات تفرض علينا واجب ومسؤولية لا يمكن التغاضي عنهما وتضع أبناء الجالية في بؤرة الأحداث حتى وإن حاول البعض التنصل والإبتعاد بشكل سلبي، وعليه فإن الدور السياسي للجاليات لا يقل أهمية عن أي دور آخر ويمكن تفعيله من خلال:

•إطلاق حملات مختلفة ومتغيرة ذات أهداف محددة.

•إحياء كافة المناسبات ذات الطابع السياسي بشكل جماعي.
•لتحرك الفاعل جماهيريا ورسميا والإجتماع بالسياسيين وتشكيل مجموعة ضغط في الدول المضيفة.

•متابعة المستجدات والإتصال بالمؤسسات والهيئات الرسمية والأهلية والإعلامية لإبراز قضايا شعبنا والتركيز على النجاحات القانونية والدولية وإستثمارها (قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي كمثال.(

•المطالبة بتطبيق القرارات والمواثيق الدولية دون تمييز أو مفاضلة.

•التصدي للهجمة الشرسة ضد قضايا شعبنا ومحاولات تشويه صورة النضال الفلسطيني من خلال لجنة متابعة دائمة ترصد التحركات وتعمم الخطوات
المطلوبة من أبناء الجالية.

•التأكيد الدائم والمستمر على حق العودة غير القابل للتصرف أو التفاوض والتعاون مع المؤسسات القائمة كمركز العودة الفلسطيني في لندن.

رابعا: التواصل مع الوطن السليب – فلسطين

•إيفاد بعض الطلبة من أبناء الجالية للجامعات الفلسطينية.

•الإتصال بالجامعات المحلية في الدول الأوروبية للحصول وتوفير منح دراسية ومقاعد لأبناء فلسطين.

•إقامة قناة تواصل بين المؤسسات في فلسطين ونظيراتها لأبناء الجاليات في الدول الأوروبية

كالنقابات التخصصية والأجسام الشبابية وغيرها.

•السعي لربط مؤسسات المجتمع المدني في الدول الأوروبية بالمؤسسات المثيلة في فلسطين والمساهمة في حملات الإغاثة والطواريء.

•الحرص على إطلاق حملات التضامن مع أبناء الشعب في الوطن المحتل وإثارتها إعلاميا (التضامن مع إضراب الأسرى في شهر آب/أغسطس ٢٠٠٤ مثلا(

•المساهمة في بناء الكيان والمجتمع الفلسطيني بشكل مباشرة (العودة) أو غير المباشر من خلال وسائل الإتصال الحديث، وهنا يجب التوقف عند التجارب السابقة في هذا المجال وهي:

.1برنامج نقل المعرفة عبر المغتربين المسمى ب "TOKTEN" والذي أسسه البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة "UNDP" عام ١٩٩٦ والذي سبق تجربته على مدار ٢٢ عام في ٣٠ دولة ويعتمد بالأساس على المهاجرين المميزين من أصل فلسطيني للعودة والعمل داخل فلسطين برواتب محددة والإستفادة من سهولة تكيفهم مع مجتمعاتهم الأصلية.

.2التجربة الثانية أسستها وزارة التخطيط والتعاون الدولي الفلسطينية تحت إسم "شبكة العلماء والتكنولوجيين الفلسطينيين في الشتات" والمعروفة إختصارا ب "PALESTA" عام ١٩٩٦ على شبكة الإنترنت لربط العلماء والخبراء المغتربين الفلسطينيين مع الداخل والإستفادة من كفاءات العلماء للتنمية في فلسطين. تضم هذه الشبكة ١٣٠٠ عضو منهم ١٧% فقط من أوروبا.

.3المشروع الثالث هو برنامج "عبر الحدود" أو "Across Border" الذي أطلقته جامعة بير زيت عام ١٩٩٩ لإيصال تقنية المعلومات وإدخال الكمبيوتر إلى مخيمات

اللاجئين في الضفة والقطاع ولبنان والأردن وسوريا وكذلك الإشراف على الجانب التقني والتعليمي.

خامسا: علاقات عامة

وتشمل العلاقات داخل الدولة الواحدة وبين الدول المختلفة وتنسيق الجهود بين الجاليات:

محليا:

•الإنخراط في العمل السياسي في الدول المضيفة.

•إقامة علاقات شخصية ورسمية مع مراكز صنع القرار والأحزاب المختلفة.

•التعاون مع الجاليات الأخرى والإستفادة من تجاربها والتنسيق المشترك في الفعاليات ذات الإهتمام العام.

•السعي لدى الدول المضيفة لتسهيل حياة أبناء الجالية.

•المشاركة الفاعلة والدائمة في أية ندوات أو برامج حوارية حول فلسطين.

أوروبيا:

•تشكيل هيئة موحدة أو لجنة تنسيق عليا على مستوى أوروبا للتنسيق بين الجاليات ووضع البرامج وتقديم التوصيات والإشراف على الأنشطة المشتركة .

•إنشاء موقع على شبكة الإنترنت بعدة لغات وضمن هيئة تحرير مشتركة يشتمل على معلومات عامة ودليل لأبناء الجاليات ومكتبة ثقافية ورابط للنشاطات ومواعيدها وتوجيهات

لتطبيق البرامج المختلفة وإبراز المبدعين
من أبناء الجاليات.

•تبادل الخبرات والتجارب والإستفادة من المهارات المختلفة لأبناء الجاليات.

•توسيع قاعدة البيانات لتشمل كل الدول الأوروبية.

•توحيد المفاهيم والتعريفات وكذلك النظم الداخلية إن أمكن.

•عقد إجتماعات دورية لأبناء الجاليات خاصة من ذوي التخصصات الواحدة.

•تشجيع النشاطات الشبابية المشتركة من مخيمات ودورات ومسابقات.

•الإتفاق على القضايا العامة كحق العودة وتشكيل لجنة لمتابعة الأمر كمرجعية لأبناء الجاليات في أوروبا لتفويت الفرصة على محاولات الإلتفاف على هذا الحق.

•إقامة ورش عمل مشتركة لإعداد وتأهيل الكفاءات بمشاركة من الجميع.

•توفير المنابر المناسبة (مطبوعة ومرئية ومسموعة) لإبراز دور الجاليات للإبقاء على التواصل.

ابو دلال
02-01-2005, 04:22 PM

عالميا:

•تسجيل الهيئة المشتركة أو لجنة التنسيق العليا لدى الهيئات المختصة التابعة للأمم المتحدة.

•الإتصال بالجاليات الأخرى خارج أوروبا خاصة في الأمريكتين وأستراليا حيث توجد أعداد كبيرة من الفلسطينيين.

•الإتصال بالحكومات في الدول المختلفة للتأكيد على حقوقنا المشروعة.

•إنشاء مجلس وصندوق عالمي لفلسطينيي الشتات.

•تبادل الزيارات والخبرات بين الجاليات عبر المحيطات.

•تشجيع البحث العلمي خاصة المتعلق بالشتات والمهجر.

أخيرا:

ما يمكن أن تفعله جالية قوية ومتماسكة ومتحابة ومتراصة لا حصر له سواءا محليا أو خارج حدود البلد المتواجدة فيه وما يمكن تحقيقه يفوق التصور فما بالكم بجاليات مترابطة ومتعاونة تنسق في ما بينها؟

هل ذلك حلم؟ أبدا – إنه واقع يمكن أن نعيشه.

هل هي دعوة لتشكيل بديل عن المؤسسات الحاكمة؟ أبدا – هو حق يمارس لخصوصية مجتمعات الشتات.

هل تحقيق ذلك مستحيل؟ أبدا –كل ما يتطلبه برنامج العمل هو الإرادة والعزيمة.

ولكن:

مفتاح كل ذلك هو الإيمان بأهمية ودور الجاليات والإقتناع به والإعتقاد الراسخ بإمكانية تحقيقه وبأن الإستمرار فيما نحن فيه أمر غير وارد.

رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة وهذه الخطوة تبدأ بالمسؤولية الفردية على قاعدة:

"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"
صدق الله العظيم.

د.إبراهيم حمامي
DrHamami@Hotmail.com

كلمة أخيرة خارج الدراسة:

وصلتني رسائل عديدة بعد نشر الأجزاء الأولى من الدراسة تعقيبا وتعليقا،وبناء على المقترحات التي وصلت، وبعد الشكر الجزيل لمرسليها، فإني أوجه النداء التالي:

•أطلب من كل من له خبرة أو يمتلك معلومات أن يبادر بإرسالها سواء بالإضافة أو التعديل أو الحذف خاصة في الدول التي لم تشملها الدراس .

•إلى كل من يرغب بتحويل البرنامج السابق لحقيقة ملموسة على الأرض المبادرة بالإتصال بمن يعرف في مكان إقامته ومناقشة ما ورد والإنطلاق بما يمكن تطبيقه وحسب الإمكانيات .

•كما أطلب من أصحاب الخبرة في مجال الشبكة الإلكترونية وإنشاء المواقع إرسال مقترحاتهم حول إمكانية بناء موقع معلوماتي عن الجاليات الفلسطينية في أوروبا وكذلك الخدمات المختلفة في الدول المضيفة ليكون همزة وصل بين أبناء الجاليات، وليتم من خلاله التنسيق والتفاعل مع النشاطات المختلفة .

•أخيرا: سيبقى ما ذكر حبرا على ورق حتى نأخذ جميعا ودون إستثناء زمام المبادرة ونحوله لفعل وعمل متواصل، وعليه أدعو الجميع للتفاعل وإبداء الرأي والنصيحة، ومن هذا المنطلق أضع نفسي وخبرتي المتواضعة في هذا المجال للمساعدة بأي شكل ومكان ممكن.

المراجع:

1. هنا وهناك نحو تحليل العلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز – د.سري حنفي – ٢٠٠١
2. نشرة العودة – العدد الخاص أيار/مايو ٢٠٠٤- مركز العودة الفلسطيني
3. التعاون الثقافي والإجتماعي الفلسطيني – وزارة التخطيط
والتعاون الدولي
4. نشرة المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي
5. نشرات مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني) شمل(
6. نشرات مركز "بديل" للاجئين.
7. شبكة العلماء والتكنولوجيين الفلسطينيين في الشتات PALESTA –
8. برنامج "عبر الحدود" – جامعة بير زيت
9. تجارب شخصية وملاحظات من خلال الجالية الفلسطينية في بريطانيا

10. سبر آراء لأبناء الجاليات في الدول المختلفة
11. The Palestinian Refugee Communities in Europe; an overview,
Abbas Shiblak, Associate Research Fellow, Shaml & RSC, University of
Oxford
12. Parliamentary Assembly: The situation of Palestinian refugees - Council of Europe 2003
13. Palestinian refugees in Europe: Challenges of adaptation and
identity
St. Anthony's College, University of Oxford, 6 May, 2000
14. The Palestinians in the Federal Republic of Germany, Ralph
Ghadban, Expert on Immigration, Berlin
15. Caught Between Two Worlds; The Case of the Palestinians in
Sweden, Dalal Abdul Ghani, University of Vaxjo, Sweden
16. The Palestinians in France; the Transformation of an Exiled
Community M. Hafez Yacoub, UNESCO
17. Second Mediterranean Social and Political Research Meeting,
Florence, March 21–25, 2001

18. Personal Interviews and Research